مرة، ومرة محاولة الدخول وحسن يمنعها محاولاً إقناعها بأنهم لن يدخلوها وسيهدلونها، نحن في البيت بقينا في حالة استنفار، وأعلنا حالة الحداد العام، وانتظرنا عودة أمي وحسن ومعهما محمود وطال الانتظار.

مع اقتراب الغروب عادت أمي وحسن يجران أرجلهما جراً والحزن يعلو وجهيهما وأمي في حالة لم أرها في أسوأ منها قط، الحال كان يغني عن السؤال ولم نجرؤ على فتح أفواهنا حتى بكلمة واحدة وارتمى كل واحد في فراشه دون أن يسمع صوت أنفاسه، أما حسن فجلس إلى جوارها وهو يحاول أن يخفف عنها قائلاً: غداً سأذهب إلى محامٍ لنوكله للسؤال عنه ومتابعة موضوعه ونبلغ الصليب الأحمر باعتقاله. وأمي تجيب رجلي على رجلك، فوافقها.

ومن الصباح الباكر انطلقا من جديد ليقوما بالمهمة، أوكلا محامياً وأبلغا الصليب الأحمر، وفهما جيداً أنه ليس أمامهما وأمامنا سوى الانتظار، فقد لا تتضح أي معلومات قبل مرور شهر، ليس هناك سوى الانتظار، والانتظار فقط ولا غير.

مرت الأيام الأولى سوداء ثقيلة وكئيبة، ولكن يبدو أنه أصبحت لنا قدرة على التكيف مع كل مصيبة مهما عظمت، فقط علينا اجتياز ساعاتها وأيامها الأولى ثم يصبح الأمر عادياً مثل كل المصائب السابقة، المهم الآن أن كل مشاريعنا السابقة ألغيت، أو أجلت على أفضل تقدير فعلى حسن أن يستمر في العمل على البسطة، وعلي أنا ومحمد أن نداوم على الذهاب إلى مصنع خالي للنظافة والترتيب، كلما مرت عدة أيام كانت أمي تصطحب حسناً لمراجعة المحامي والصليب الأحمر، بصورة دورية مرة أو مرتين أسبوعياً وبعدما يزيد على الشهر، أخبرنا المحامي أنه سيتم توجيه (لائحة اتهام لمحمود) وسيقدم للمحكمة ولكن يبدو أن الأمر بسيط، وسيتضح خلال أسبوعين أو ثلاثة، وبعد حوالي أسبوعين علمنا أنهم أخرجوا محموداً للمحاكمة، وأن القاضي مدد توقيفه شهرين جديدين، وبعد حوالي أسبوعين آخرين علمنا من الصليب أنه ستكون لمحمود زيارات في سجن غزة المركزي، وأن بإمكاننا أن نزوره مرة كل شهر، يوم الجمعة الأول من كل شهر ابتداءً من الشهر القادم.

حسن كان قد أنهى الثانوية العامة وأمام وضع العائلة الاقتصادي الذي لا يحتمل سفره لمصر أو لغيرها للدراسة رضي بأن يلتحق بالمدرسة الصناعية التابعة لوكالة الغوث وقد قبل فيها في قسم الخراطة والبرادة، وكان عليه الالتحاق بالدارسة في مطلع العام حيث يدرس فيها مدة سنتين يتخرج بعدهما بدبلوم صناعي.